

« قالوا للحن (كاللحن) ستة معان : الخطأ في الاعراب ، واللفة ، والغناء ، والفطنة ، والتعريض ، والمعنى » - اللسان .

نضيف الى معنى الغناء هنا قولهم « لحن تلحيناً في قراءته : طرب تطريباً وترنم » . والظاهر انه كان يطلق كذلك على كل صوت منغوم كما هي الحال عندنا اليوم ، فمن هنا فيما نتوهم نشأ (النحل) لان لطيرانه طينياً ونغماً ، واحدته : النحلة .

لقن :

ومن (لكن) كذلك نشأ اللقن والتلقين بمعنى الفهم والتفهيم . واللقن واللقنة واللغانة واللغانية (كالغلانية) : سرعة الفهم والفطنة (وهذه كما رأينا من معاني اللحن الستة) .

والتأخرون يستعملون (التلقين) بمعنى التعليم وتحفيظ الكلام أو طلب ترديده بعد الملقن . من ذلك (الملقن) في المسرح يساعف الممثلين بالفاظ ادوارهم كلما نسى أحدهم شيئاً منها . ومن ذلك أيضاً تلقينك محتضراً الشهادتين وغيرهما من الادعية ، أى تفوهك بهما ليردهما المحتضر بعدك . لكن لا أثر لهذا المعنى في المعجم العربى . فهل وجده المعجميون واعتبروه مولدا فلم يأخذوا به ، أم انه ظهر متأخراً بعد عهد التعجيم (= جمع المعاجم) ؟ كذلك يقول معاصرونا لقتنه درسا : انتقمت منه أو عاقبته وجعلته عبرة لنفسه .

اللحن :

أما هذا فيظهر انه انما نجم من معنى سلطة اللسان في (اللسن) آتفا . قالوا « فلان يتلاعن علينا : اذا كان يتماجن ولا يرتدع عن سوء ويفعل ما يستحق به اللعن » .

ثم صار اللحن يعنى : السب ، والطرده من الخير . ثم صار التلعين : التعذيب .

اللسن :

جمعوا اللسان على : السنة ، واللسن (بضم السين) ، ولسن (بضميتين) ، ولسانات .

معنى الملك الى البشر . يقول المعجم ان « المالك والملك والملك (بكسر اللام أو سكونه) : صاحب الملك والرئيس الحاكم للامة » . أى ان المعنى صار الى التملك والسلطة ، لكن معنى الالوهية لم يذهب عن الكلمة فان كلا من المالك والملك من الاسماء الحسنى ، وقد عبدتا (بالتشديد ، وعلى المجهولية) فى التسمية فقبل عبد الملك وعبد المالك . والآية « مالك يوم الدين » يقرأها نافع أحد السبعة وبقرآته يأخذ اهل المغرب « ملك يوم الدين » - ما يدل على ان الكلمتين كانتا سواء عند العرب .

وقد صيغ الفعل ملكت شيئاً تملكه ملكاً (كضربته ضرباً ، وللصدر صور أخرى) : كنت حائزاً له ومقتنياً (حسب تعريفنا ، اختصاراً لتعريف المعجم) وعلى المجاز قالوا ملك فلان نفسه وتمالكها : ضبطها وسيطر عليها عند غضب أو شهوة . والملكة (بالتحريك) : التملك . وصارت عند المحدثين تعنى الموهبة والحذق الفطرى فى علم أو فن .

ومن معنى الحيازة والسلطان صار الملكوت : الملك العظيم ، ثم العز والسلطان . . وصار فى التعبير الدبنى يعنى ملك الله ، أى السماوات والأرض .

الكنة :

ومن مشتقات اللسان : (اللسن) - كالرسن : الفصاحة ، وسلطة اللسان . والمسون : الكذاب . أما لكن يكن لنا (كفرح فرحاً) ولكنة (كلقمة) ولكونة (كعقوبة) ولكنونة (كأعجوبة) فتعنى : عى ونقل لسانه ، أو كان لا يقيم العربية لعجة فى لسانه .

اللحن :

ومن (لكن) هذه ظهر (اللحن) - كاللبن : اللغة (أى كاللسان) أو الفطنة (أى كاللقن ، الذى سيأتى حديثه بعد) .

وقالوا لحن (كضرب) فلان : تكلم بلغته ، وهذا المعنى قريب من (لسن) من جهة ، وشبيه به (لكن) من جهة أخرى لان المقصود ان المتكلم غير عربى . والكنة (بالضم) : التكلم بالعربية بلهجة فيها عجة ، واللحن : تكلم المرء بلغته (الاعجمية) .

ثم قدر الله ان يسقط اللام عن احدى هذه الصيغ او احدى صيغ اخرى منقرضة - حين استنقلوا ان يقولوا : الالسنة والالسن واللسن . . فقالوا السن (زنة الجن) . ثم كان ان تخصصت هذه الصيغة بهذا العظم الصغير النابت في الفك . وجمع السن : اسنان واسنة (كجمع السنان !) واسن (كجمع الكف على اكف) .

والتسمية جاءت فيما نظن عن طريق العقرب فالانعى . ذلك بانهم قالوا : لسنته العقرب الانفة الذكر ، بمعنى لدغته كما راينا ، ثم قالوا : لسبته الحية ، بنفس المعنى . وابدال النون باء له في العربية اشباه وان كانت قليلة ، منها تحنب عليه : تحنن ؛ ويث خيرا : نثه .

والحية لا تلدغ بذنبها كالعقرب بل بنابها اى بسنها ، فمن اجل هذا انتقل معنى اللدغة الى العضة ، قالوا سن فلانا يسنه سنا (زنه شده يشده شدا) بمعنى : عضه بأسنانه اولا ، ثم بمعنى طعنه بالسنان ، استعارة ، اى ان سنان الرمح هذا هو الذى نجم من سن بنى آدم والعياذ بالله ، لا العكس . وان كنا بهذا التخريج قد برانا اخانا الحيوان ضمنا ، فلاننا نتوهم ان التسمية جاءت من اول عضه تلتاقها الام الرؤوم من رضيعها الناكر للجميل حين يستمتع بتجربة سنه الجديدين في عض حلقة الثدي الذى سقاه مادة الحياة .

ومن رهافة السن ومضائها - ولعلها سن الرضيع ايضا - جاء قولهم سن سكيئا : شحذه واحده ، اى جعله حادا ماضيا كالسن ! ثم قيل سن رما وسننه واسنه (وكلها بالتشديد) : ركب فيه سنانا . . واصل المعنى : ركب فيه سنا ! .

وكانوا وما زالوا يقدرون اعمار بعض حيواناتهم بفحص أسنانها . ومن هنا صارت السن - وهى مؤنثة - تعنى العمر نفسه . يقال : كم سنك . . اى عمرك ؟ وقد اجاب احد المباحين : اثنتان وثلاثون ! يعنى عدد اسناته . فقال السائل : ما سنك ؟ . . فاجيب : عظم ! . . في حكاية مشهورة .

ثم ان العرب قالت اسن رجل : شاخ ، بعد ان قالوا اسن صبى : نبتت أسنانه .

ودليلا على كثرة استعمال السن في المجاز والاستعارة نذكر انها اطلقت كذلك على شعبة المنجل والواحدة من شعب المشط وتنتوءات المنشار ونحوها ، وعلى الحبة من رأس الثوم ، وعلى مكان البرى من القلم (اى اسلته) ، وعلى حرف فغار الظهر .

والسنة (كالحبة) : الفهدة ، ربما من معنى النهش بأسناتها ، ثم اطلقت على الدبة من باب الخلط التطورى ، بعد ذلك فيما يظهر . وما اكثر ما استعملوا اسما واحدا لاكثر من حيوان ، بل لعدة حيوانات في بعض الاحايين .

اما السنة (كالكسكة) فهى : الفأس لها حدان ، ربما من معنى ظهور الاسنان شفعا شفعا في البداية ، فاستعاروا الواحدة منهما لتدل على حدى الفأس المزوجة كليهما .

السنة :

ومن السن او احدى صيغها نشأت صيغة السنة (كالشفة) . ومن تقدير عمر الدواب بالسنوات عند فحص أسنانها اكتسبت (السنة) معنى الجول اى دورة العام .

وتنطق السنة بالبابلية (شتى) ومنها (ريش شتى - resh shatti) : رأس السنة . ولا بد ان اثلها قد كان (شنتى) ثم ادغموا النون في التاء .

وجمعوا السنة على : سنوات وسنهنات وسنون (بالكسر) وسنون (بالضم) . ونظن هذا اثل السنونو (بالضم) وهو طائر موسمى يظهر (سنويا) في صيف المناطق المعتدلة .

وتشعبت الصيغ فقالوا اسنى القوم في موضع ، يسنون اسناء : ليثوا فيه سنة .

لكنهم اذا ذكروا السنة مطلقة تصدوا بها الازمة او السنة المجدية ، في مثل قولهم : أصابتهم السنة . وهو دليل على انه منها نشأ الاسنات (كالأحسان) ، فكما قالوا أسنوا يسنون (كأمسوا يمسون) قالوا اسنتوا يسنتون اسناتا فهم مسنتون : أصابهم سنه (بالهاء ، لا بالتاء) وقحط واجذبوا . وهذا منشأ قولهم المسنتة (كالمحسنة) والسنتنة (كالشرسنة) :

الارض لم يصبها مطر ، ثم قولهم رجل سنت (كثرس) :
تليل الخير .

« واصل السنة سنة بوزن جبهة فحذفت لامها
ونقلت حركتها الى التون فبقيت سنة لانها من سنهت
النخلة وتسنعت اذا اتى عليها السنون . قال ابن
الانثر : وقيل اصلها سنوة (كسحوة) بالواو فحذفت
كما حذفت الهاء لقولهم تسنيت عنده اذا اقيمت عنده
سنة « — اللسان ، مادة (س ن ه) .

يرى قارئنا الكريم من هذا وامثاله ان الاتمين
كثيرا ما تناولوا المعاني والالفاظ وحاولوا معرفة نشوء
بعضها من بعض لكتهم في حالات غير تليقة عكسوا
الامر فخالوا الفرع اصلا والاصل فرعاً ، كما
يفعلون هنا .

ثم قالوا ساتى فلانا مساناة وسناء (كسلاحا) :
استأجره أو عابله لسنة .

ونطقوا السنوات (سنهات) كما تقدم ، كما
نطقوا المساناة (مساناة) بمعناها الأنف . والفعل
سنه يسنه سنها (كفتح فتحا) : مرت عليه سنون .
وسنه طعام أو شراب : تغير (وهذا من باب المبالغة
كأنها مرت عليه سنهات) .

وسانعت رجلا : عابته بالسنة . والنخلة سانعت :
حبلت سنة بعد سنة .

لكن مادة (س ن ه) ايضا لم تخل من معنى
الجذب فقالوا السنهاء من النخل : التي اصابتها السنة
المجدبة ، أو التي تحمل سنة ولا تحمل اخرى .

النسيان :

من السنة والمسناة ظهر النساء (كالسما) :
طول العمر . . وواضح ان المقصود كان كثرة (السنين) .
اما النساء (كالنشء) فمعناه : التأخير يكون في
العمر أو في الدين ، والنسأة (كالنشأة) والنسيئة
(كالبريئة) : التأخير والتأجيل . ومن ذلك جاء قولهم
نسنت المرأة : تأخر حيضها .

ومن معنى التأخير والتأجيل قالوا انسائه الدين
أو البيع : أخرته ، أي جعلته مؤجلا . واسم ذلك

الدين النسيئة . وهي تنطق في الفارسية (نسيه)
— زنة نسبة — بمعنى البيع بالدين .

ونأتى الى (النسو) — كالنحو — فمن قولهم
(نسا ينسا نسا) بالهمزة ، ظهر (نسا ينسو نسوا)
بتخفيفها : ترك عمله . وانسائه ينسوه شيئا : أمره
بتركه .

أما جموع المرأة : النسوة والنساء والنسوان :
منه لغويا أي تأنيلا من باب (الناس والانسان) ، ولو
ان المعجبين يدرجونها بدون مناسبة في باب (النسو)
هنا . خدعهم هذا الواو في اللفظ دون أن يعيروا المعنى
التفاتا .

ومن قولهم أنفا (انساه شيئا) : أمره بتركه ،
أو من صيغة مماثلة صار قولهم (انساه شيئا) يعنى :
جعله ينسأه — والفرق ان هذه الاخيرة مدرجة في مادة
(ن س ي) ، بينما الاولى في مادة (ن س و) . وبتعبير
آخر انه لما كانت (نسا ينسو نسوا) تعنى :
ترك عمله ، صارت نسي (كخرج) نسيا ونسيانا ونساية
(كبناية) ونسوة (كندوة) ونساوة (كعداوة وعلاوة) :
ضد تذكره . . (واذا طلبت في المعجم تذكرت شيئا ،
قال لك : ضد نسيته) : لهذا نقول للقارئ في تعريف
النسيان ولو انه لا يحتاج الى تعريفه انه : غياب
الشيء عن البال .

ونذكر على سبيل الترفيه عن قارئنا العزيز جدا ،
والتخفيف من جدية الموضوع ، قول أحد الظرفاء
العراقيين ، في النسيان — ولا أعرف اسمه — لاني
(نسيته) :

قد بلغ النسيان بي أنه
لم يبق لي بالا ولا حسا
فصرت اما عرضت حاجة
تهنى أودعتها الطرسا
وصرت أنسى الطرس في راحتى
وصرت أنسى أنسى أنسى !

انسان :

لا بد ان بعض العرب نطقوا السن بالثاء ، وكانوا
عندئذ — في عهد لغوى سحيق — يجمعون بالالف

اه اللسان .

وعلى هذا كان من جملة تفسيرات الآية « انك بالواد المقدس طوى » ، قولهم ان المتصود هو الوادى المقدس مرتين .

نجد (طوى) بنصها (twa) في السكسونية بمعنى الاثنين ايضا . وتقريب منها النطق الايطالى (دوه — due) وقد انهلست الكلمة شيئا في (دو — du) بالفارسية والسنسكريتية ، ولا نعلم كيف كانت تنطق فيهما اول امرها . لكننا نجد من آثار الانملاص صيغة (deux) الفرنسية التى يثبتون فيها الحرف الاخير كتابة ويحذفونه نطقا ، ويدمجون الحرفين الثانى والثالث في حركة مديدة واحدة .

الانثى :

تعرض لنا في طريقتنا (تقليمة) لغوية غريبة .. هى ان صيغة (الاثنيين) — تثنية الانثى — تعنى شيئا خاصا بالذكر اى غدتى الذكورة .

الانثى ، يقول المعجم انها خلاف الذكر ، واذا رجعنا الى الذكر قال لنا انه خلاف الانثى ! فاذا لم تكن نعرف احد التقيضين سلفا في هذا وامثاله كالنور والظلام ، والليل والنهار ، والقريب والبعيد ، والقوى والضعيف .. فقد ضعنا .

مهما يكن فما من احد يجهل ان الانثى هى الجنس الذى يحبل ويلد من الحيوان ويزهر نيشر من النبات ، وان الذكر هو الجنس الذى يلتح ويترك المقادير تجرى فى اعنتها .

الانثى من اين نشأت ؟ وما علاقتها الايجابية او السلبية بالانثيين ؟

يقول المعجم ان الاثنيين : مثنى الانثى . الخصيتان ، الاذنان . وانثيا الفرس : ربلتا فخذيا ، والاثنيان من احياء العرب : بجيلة (كقبيلة) وقضاعة .

والنون (ن) ، فجاء جمع السن (ثنان) بدل (سنان) و (الثنة) بدل (السنة) — بالكسر ، وبعد شيء من التحوير التطورى نجمت (الثنية) زنة الهدية : واحدة الثنايا ، وهى الاسنان الاربع فى مقدم الفم ، (ثنتان) من اعلى و (ثنتان) من اسفل .

هذا يفسر لنا كيف صارت (الثنتان) تعنى العدد الذى بين الواحد والثلاثة ، اى ضعف الواحد — لان هذه (الثنايا) الاربع تثبت (اثنتين اثنتين) . ثم انبثقت صيغة المذكر (اننان) التى تشبه جمع السن على أسنان .

وسرعان ما صاغوا بعد ذلك الفعل : ثنى يثنى (كجنى يجنى) شيئا : « طواه أو عطفه » — اى طوى الثوب مثلا وعطف الفصن وثناه (بالتشديد) تثنية : جعله اثنين . وصارت : (اثناء) الشيء و (ثناياه) تضاعيفه ومطاويه ، و (اثناء) الحية : مطاويها اذا (تثنت) .

والثنيان (كالبنيان) : « الرجل بعد السيد ، اى الثانى فى الرياسة » ، او بتعبير آخر : الذى يلى الرئيس ويحل محله اذا غاب . ونحن اليوم بحاجة الى احياء هذه الكلمة فى عريبتنا المعاصرة .

ان فعل (طوى طيا) مرادف لفعل (ثنى ثنيا) وقد جعل العرب لكليهما علاقة بالعدد (اثنين) لكن بطريقة متعاكسة . ذلك ان (الثنى) نشأ من (الاثنيين) ، فى حين ان (الطى) منه نشأ (الطوى) — زنة الهدى — بمعنى التثنية ايضا . اللسان : « واذا كان طوى وطوى (بضم الاول او كسره ثم فتحة منونة) هو الشيء المطوى مرتين فهو صيغة بمنزلة ثنى وثنى (بالضم او الكسر كذلك) ، كما قال الشاعر :

اى جنب بكر قطمتنى ملامة ؟

لعمري لقد كانت ملامتها ثنى

وقال عدى بن زيد :

اعائل ان اللوم فى غير كنهه

على طوى من غيرك المتردد »

* يراجع كلامنا عن « التثنية والجمع » فى كتابنا « مغامرات لغوية » و « اللسان العربى » — الممدد 5 غشت 1967 .

لكن لماذا اختصت كلمة (الانثى) بالمرأة دون الرجل ما دام الاثنان — الزوجان — رجلا وامرأة ؟ واضح للمرة الثالثة أن السبب قد كان نحويا ، قبل ظهور علم النحو بقرون نجهل تعدادها . ذلك أنهم عند ما افردوا (الاثنيين) جاء المفرد بيدهم (انثى) وهى صيغة تأنث كالجبل ، فاختصت من أجل ذلك بالمرأة . وجمعوا الانثى على : اناث واثث (كسفن) واثثى (كجبالى) .

واستخرجت من (الانثى) اشتقاقات تدل كلها على الرقة واللين . قالوا هذه امرأة انثى : اذا مدحت بانها كاملة من النساء . والمؤنث : الرجل المشبه بالمرأة في لينه وتكسر أعضائه . واثثه تأنثنا : جعله مؤنثا أو عده انثى أو خنثه (بالتشديد) .. وبلد انثى : لين سهل ، ومن ثم ظهر قولهم مكان انثى : اذا أسرع نباته وكثر . ويروى لنا اللسان تخريجا طريفا حيث يقول : « وزعم ابن الاعرابى أن المرأة انما سميت انثى من البلد الانثى ، قال : لان المرأة اللين من الرجل ، وسميت انثى للينها » . ومن قوله « زعم » يتضح انه لا يتفق معه . لا تلوم ابن الاعرابى في تخريجه هذا في ذلك الزمان بدلا من أن يقول العكس اى أن اشتقاقات الانثى هى التى اكتسبت معنى اللين من المرأة . كان القوم يتخبطون في كل اتجاه بحثا عن الحقيقة . فمرحى لهم فيما أصابوا فيه ، ولا لوم عليهم ان اخطأوا لكن هذا لا يمنع أن نميز منهم بين الانكباء المتمقين والسطحيين الخرافيين .

وانتقلت الانوثة الى السيوف ! وفي صراعها مع السيف غلبته والبسته معنى اللين بدلا من أن يكسبها معنى الصلابة والمضاء . قالوا الانثى من السيوف والمناث والمناثاة والمؤنث : ما كان من حديد غير ذكر ! اى ما كانت حديدته لينة .. انثى !

الخنثى :

ان ابدال حرف الخاء بالهمزة قليل في العربية لكنه موجود ، مثل : الإباش والخباشى (بالتشديد) : الكاسب ، والتاود والتخود (بالتشديد) .. ومن ذلك ايضا : الانثى والخنثى .

وحسبنا هذا مادة للتحيص والاستنتاج . فتأمل هذه المعانى عزيزنا القارئ وتعاون معنا في استخلاص الحقائق الجلية من هذا الخليط الغامض ، ثم قل لنا ما علاقة القبيلتين المبريتين الكبيرتين بجيلة وقضاة بالانثيين وربلتي الفخذين من الفرس ؟

من الواضح جدا من تدبير هذه المعانى أن (الاثنيين) مجرد تحريف من (الاثنيين) لذلك أطلقوها على اشغاع كثيرة من الاشياء — قياسا على الثنيين اى السنين الاماميتين — بل ربما أطلقوا (الاثنيين) على كل شغاع اى على كل قرنيين متلازمين من الاشياء ، وعلى كل الاعضاء المزوجة ، ثم زالت تلك العادة اللغوية التى كانت قياسية فيما نظن وتخلفت من آثارها هذه الاشغاع التى يذكرها المعجم ، ومنها قبيلتان كان لهما شأنهما بعضهما مع بعض من خصام ووثام .. فيرد ذكرهما معا كما كان يقال بكر وتغلب ، وكما لا يزال يقال اليوم في نجد واتحاء بادية الشام : شمر وعنزة .

« وقال ابن سيدة : وقول الفرزدق :

وكنا اذا الجبار صمر خضده
ضربناه تحت الاثنيين على الكرد *

قال يعنى الانثيين ، لان الاذن مؤنثة « اللسان .

وما نرانا نوافق ابن سيده على تأويله هذا لان مجرد كون الاذن الواحدة مؤنثة لا يبرر تسمية الانثيين اثنيين ، فالعين ايضا مؤنثة ومثلها اليد والساق والخاصرة .. الخ . وانما الصواب ما قلناه ، وهو ان الانثيين سميتا اثنيين لانهما اثنتان ، شأنهما شأن ربلى الفخذين وتينك القبيلتين .

فمن هنا أطلقوا (الاثنيين) على الغدتين الخاصتين بالذكر ، كذلك .

وبشئ من التأمل يبدو من الواضح — ربما جدا ايضا — أن لفظة الاثنيين أطلقت على القرنيين من بنى الانسان : المرأة والرجل ، مثلما نقول الآن : الزوجين .

* الكرد ، زنة الطرد : اصل العنق .

وقد كانت الكلمتان مترادفتين أول أمرها بدليل
اطلاقتهم (الخنثى) على (الانثى) . ومن ذلك
أيضا قولهم خنثه تخنيثا بمعنى أنه تأنيثا ، ثم استعمالهم
التخنث بمعنى التثني والتكسر من الرجال والنساء ،
وهو شبيه بقولهم تأنث تأنثا : صار أنثى ، أو لان
وتساهل . ثم بولغ في معنى اللين والتساهل حتى
انتهى الى الضعف حيث قالوا تخنث المرء (رجلا أو
امراة) : سقط من الضعف .

أما الخنث (كالخلاف) فهو بالعراقية : منسل
المرأة أو غيرها من انث الحيوان .

ويقول اللسان : « **واصل الاختنث : التكسر**
والأنثى ، ومنه سميت المرأة خنثى » . هنا أيضا يكون
الصيح العكس ، أي أن التثني والتكسر هما اللذان
نجما من الانثى والخنثى .

ثم اطلقت (الخنثى) على الانسان الذي له
أعضاء الرجل والمرأة معا .

الانسان :

ولا نرى كبير مفخرة للعرب في استعارة معانئ
التثني واللين والسهولة والخصب من الانثى للكثير في
الاشياء ، فان هذه الخلال يحسها ويستطيعها الرجل
من جميع الاقوام ، وانما يستاهل العرب التقدير لعمق
احساسهم بالمعنى (الانسانى) الكبير في العلاقة بين
(الاثنين) - الرجل والمرأة - واستيلادهم منها معانئ
الانثى والايانس والناس .. والانسانية !

فالانثى احس العربى في وجدانه انها لم تكن
له مادة استمتاع منسلى وحسب ، بل هي كذلك
سكن والف ونصف متمم . فمن أجل هذا لما نشأت
لهم من (الانثى) صيغة (الانس) ظلموا عليها معنى
الطمأنينة والركون والاتجاذب وكل المعانئ المضادة
للوحشة * .

وظل المعنى يتطور حتى صار يدل على البهجة
والانشراح ، نجد ذلك باقيا في الدارجات .

وينطق بالعراقية (ونسة) - بالكسر . ويقولون
بالموصلية مثلا : كلوا معنا عالونس ، أي كلوا معنا
للانثاس (أي للانث والايانس) . لكن معنى السرور
والبهجة في (الانس) قديم عند العرب مع أنه اختلى
من هذه الصيغة في معاجمهم . دليل ذلك أنهم كانوا في
الجاهلية يسمون يوم الخميس (مؤانسا) - « لانهم
كانوا يميلون فيه الى الملاذ » - اللسان .

واذا كانت (الانثى) هي مصدر (الانس) بمعنى
الالفة والتمازج الروحى أول الامر فقد عم المعنى
فشمل الجنس الخشن أيضا باعتبار كل من القرينين
(انسا) للآخر ، فليست المرأة أقل (استثناسا) برجلها
منه بها ، فمن هنا أصبحت صيغة (الانسان) تشمل
الانثى ، حتى لقد ندر عندهم تأنيثها على (أنسانة) .

ولعل هذا مع ما تقدم من ملابسات وتأثيرات يؤيد
للقارئ تخطئنا للشاعر - الا اذا كان مازحا - في
قوله : وما سمي الانسان الانثى .

ومن الانسان طبعنا نشأت (الانسانية) بمعانئها
الجليلة . لكنهم كثيرا ما يصفونها بالمعذبة ، مع الاسف ،
ولعلها اصدق اوصانها ، ولا سيما انها هي المعذبة
لنفسها .

والانسان نطقه بعضهم (الايسان) ليقول قائلهم :
ما رأيت ثم ايساننا . وهم يجمعونه على اياسين . لفة
طىء .

ونطق نون الانسان ياءا عند بعضهم يذكرونا بنطق
سين الناس تاءا عند آخرين ، في قول شاعرهم :

يا قبح الله بنى السملاة
عمرو بن يربوع شرار الناس
ليسوا بأخيار ولا أكيات !

لكن هؤلاء لا ينطقون السين تاءا في (الناس)
وحدها بل في كل اللفاظ المماثلة كما نرى في الاكيات ،
أي الاكياس (من الكياسة) .

* المعجم العربى يعرف الانس بأنه خلاف الوحشة ، ويعرف الوحشة بأنها خلاف الانس !

وقالوا كذلك ان « النوايس (كالصراف) : الناس
يكون من الانس والجن ، جمع انس ، اصله آانس ،
جمع عزيز اخذل عليه آل » - اللسان .

اما الجمع الانثوى فله عديد من الصيغ : النسوة
(بالفتح او الكسر) والنساء والنسوان (بالضم او
الكسر) والنسون (كالمثون) والنسنين (كالفلسين) ،
وكلها جموع (المرأة) التى لا جمع لها من لفظها .

من معنى (الانس) بالضم ، ايضا سميت النار :
مانوسة ومانوسة والانيسة . اللسان : « ويسمونها
السكن (بالتحريك) لان الانسان اذا آانسها (اى
ابصرها) ليلا انس بها وسكن اليها وزالت عنه الوحشة
وان كان بالارض القفر » . وهذا عين الصواب ، لان
الابصار قد جاء اولاً من هذا السكن - الذى هو ايضا
من اسماء النار - وزوال الوحشة عند رؤية النار ليلا
لانها كانت للمسافر والمنقطع بشيراً بالوصول الى
ناس من البشر يؤنس بهم ويلتجأ اليهم ويوجد لديهم
على الاغلب زاد وقرى ، ولا سيما ان اجاويد العرب
كانوا يوقدون النار فى الليل على رؤوس الاكام والمشارف
لاستجلاب الضيفان من جائع وتائه وملهوف .

و (السكن) بالتحريك : « ما يسكن اليه وفيه
ويستانس به ، والرحمة ، والبركة » . فاذا هم اطلقوا
هذا (السكن) المبارك على النار كما تقدم فلا عجب
ان يطلقوا عليها كذلك (المانوسة) بمعنى المانوس بها
و (الانيسة) وهى من صيغ المفعولية ايضا . ثم هم
لكثرة ذكرهم اياها وحبهم لها وعرفانهم لفضلها استعملوا
عنها اداة التعريف اكباراً واحتفالاً فدعواها (مانوسة) .

وصاروا يقولون (آنست نارا) بمعنى آنست
بها ، ثم بمعنى أحبست بوجودها وتوقعت رؤيتها ،
مثلما تقول آنست فيه مخايل النبيل والشرف اى توسمتها
فيه او شمتها منه . ثم انتقل معنى (آنست نارا) الى
الرؤية .

من معنى التوقع الذى نخمنه ظهر قولهم
« استانس : استعلم » (اى بحث عن المتوقع من
الامر اولاً ، ثم بمعنى سأل ليعلم ما لا يعلم) .

وتياسا على معنى الابصار قالوا « آنس صوتا :
سمعه » .

وقالوا « جارية آنسة : طيبة الحديث » .
المتأخرون صاروا يطلقون (الانسة) على العذراء ،
او بعبارة ادق على الانثى البشرية التى لم تتزوج . ولم
يلتفتوا الى ان هذا المعنى اذا تورن بالمعنى القديم
صار المفهوم منهما ان الانثى اذا تزوجت خبت حديثها .
ان النكات تكثر عن ثرثرة الزوجات لا عن خبت حديثهن .

اما الليث فيقول : « جارية آنسة : اذا كانت
طيبة النفس (كالنعم) تحب قريبك وحديثك » - وهذا
يجعل نتيجة المقارنة أوجع ، لان هذا الاستعمال
الحديث يحرم المتزوجة من هذه السمائل الحلوة . ومن
راى ان على الأزواج ان يقدموا احتجاجاً على ذلك ،
ان كانوا غير موافقين عليه .

ومن (الانسة) نشأت صيغة (العانس) .
واختصت بالمرأة التى تبقى زماناً غير متزوجة ، بعد
البلوغ . (وقد تطلق على الرجل) ، ومن هناك
صيغ الفعل عانسها أهلها تعنيساً : حبسوها عن
الزواج حتى جاوزت فتاء السن ولما تعجز .

وللكلمة معان أخرى نكتفى منها بهذا الذى ذكرنا
لفضح تحيز التطور ومجافاته النصفية بين لفظتين
مشتقتين من مادة واحدة فيحلبى هذه (الانسة) ويجوز
على الأخرى (العانس) .

و (الانس) بالكسر : « البشر ، غير الملائكة
والجن » ويمكننا أن نضيف : وغير الشياطين . بالمراتية
يقولون : « لا انس ولا جنس » تعبيراً عن خلو المكان
من كل ذى حياة . اى انهم ينطقون الجن (جنسي)
اتباعاً .

و (الانس) بالتحريك ، معنى : الجماعة الكثيرة .
ومن الغريب ان الخنثى (كالشرس) ايضا تعنى شيئاً
قريباً من ذلك اى : الجماعة المتفرقة ، مما يؤيد الصلة
بين مادة الانثى والخنثى والانس (اى الناس) .

وجمع الانس : آانس (زنة آمال) . ولا بد ان
هذا او شبهه قد كان اثل (الناس) . ويقول المعجبون
ان (الناس) : جمع (الانسان) ، ولسنا متاكدين من
صحة ذلك لان لدينا بمعنى جماعة البشر : (الاتانس)
ايضا . وهى تشبه صيغة الانثى (كالحبالى) التى مرت
بنا قبل ، جمع الانثى .